كُلّي أُلَبّي(*)

نبيلة الخطيب- الأردن

وما ارتحالكَ فرداً قاصدَ الحرمِ؟! ... وصاحباكَ على شوقٍ كما الضرَمِ

أما تواعدتِ الأرواحُ ذات ضحىً؟! ... على الطوافِ بعهدٍ غير منفصمِ

عهدٌ زرعناه فاخضرَّتْ جوانحنا ... قد خُطَّ بالدمع لا بالحبر والقلمِ

أما وعدتَ أخَيَّ الصاحبين غداً ... هل أخطأ العدَّ قلبي أم تراه عَمي؟!

تقولُ بعدَ غدٍ؟! مَن ذا يُؤمِّلُني؟! ... والعمرُ يضبحُ بين السُّقم والهَرَمِ

يَسّاقطُ العمرُ والأيـامُ في سَبَقٍ ... تمضي تحثُّ الخطا للأشهر الحُرُمِ

ويح المقيم بأدنى الأرض مَحبِسُهُ ... والروحُ تصبو حناياها إلى الأكَمِ

نبيتُ نـرزحُ في أصفـاد وحشتنا ... (والناسُ من كل فجٍ في ذرا الحرمِ)!

والناسُ تُروَى وتَروي بالدموع منىً ... ومقلتي ألـهبتْ خـدَّيَّ بالسّجَمِ

تصحّرَتْ مهجتي والعينُ طائفةٌ ... تجوبُ أجواءها بحثاً عن الدِّيَمِ

تَمـدّدَتْ في صحرائي فتُهتُ بها ... يا غربةً جرَّعتني حسرةَ اليُتُمِ

فما اغتباقكَ والأضلاعُ ذاتُ صدىً؟! ... في كلّ صدرٍ فـؤادٌ للزلال ظمي

أقبِلْ تضرَّعْ تضلَّعْ علَّ يشملنا ... منك الدعاءُ بصبحٍ عاطر النسَمِ

لكعبة النـور هـالاتٌ تُكلِّلُها ... يا حُسنَ طلعتها موفورةَ العِصَمِ

سودٌ غدائرُها من مِسك كسوتِها ... قد رُصِّعَتْ بفصوص التِّبر والتُّومِ

لمّا تعلّقَ بالأستار زائرها ... بدت لناظرها مبيَضّة اللَّمَمِ

(*) معارضة لقصيدة د. عودة أبو عودة ماء زمزم المنشورة في العدد ٨٨، ص٣٤.

عيني تراها يقيناً قابَ دمعتها ... يا قوتةَ الأرض فلتُقبلْ وتستلم
إن حالَ بينكما جمْعٌ أشِرّ بيدِ ... وإنْ دنَوْتَ فقبِّلْ طُهْرَها بفم
إنَّ الحبيب الذي روحي تتوق له ... لم تثنني عنه بيدائي ولا لجُمي
لو كان للقلبِ خِلٌّ غيره لقضى ... بقيّة العمر بين البان والعَلَم
لكنّما القاعُ بين الصخرتين سعى ... به فؤادي وإنْ كفَّ النوى قَدمي
والروحُ ترمُلُ بين الأخضرين عسى ... يوماً تُطهِّرُني الأنوارُ من ظُلَمي
كُلّي ألبّي وإنْ أحصِرْتُ عن أملي ... روحي ونفْسي وأنفاسي ونبضُ دمي
يا ثالثَ اثنين هل للبينِ من سِنَةٍ ... نفرُّ فيها إلى شَمْلٍ ومُلتَأَم؟!
ولا جُناحَ على الساعي بمفرده ... وكيف يقضي ارتيادُ النور للندم
إن كان ذاك ابتلاء الله أدركَنا ... فلستَ عندي على البلوى بمتّهَم
قلبي رويدكَ قد ناداهُ داعيُهُ ... ألا يُلبّي؟! فلا تعتب ولا تلُم
ماذا عليه وقد أبراهُ بارئُهُ ... وبتَّ أنتَ شجيَّ النبضِ ذا كَلِم؟!
لكنّ قلبي لحوحٌ في تَعَشُّقِهِ ... يذيبُه الشوقُ بين الصمتِ والكَلِم

* * *

أزُرتَ طيبة والمحبوب ساكنها ... عالي المقام رفيع الشأن والشيَم
تُرى مشيت على ذاك الثرى خبباً؟ ... وكنتَ في كلِّ خَطوٍ مُغدِقَ السَّلَم؟
وهل تلوتَ «ألم نشرح» بروضته؟ ... أعلى له الذكرَ ربُّ العرشِ في الأمم
قد كنتَ أقرأتَهُ عني الجوى فبكتْ ... حمائمُ الدّوح لمّا استقرأتْ ألمي
هل ساءلتْكَ إذنْ عني أم انَّ جَفاً ... قد مَدَّهُ النأيُ حتى بتَّ كالعدَم؟!
رسولَ شوقي إليها هل بثثتَ لها ... أني رهينة ليل الشوق والألم؟
قد ردّدَ الشعرُ آهاتي مُرفَّلةً ... فأسندَ الوجدُ تحناني إلى نغمي
وبتُّ بين رجائي واحتدام دمي ... كمن تردَّدَ بين البرءِ والسَّقم
صوتٌ يؤمِّلُ في روحي مباهجَها ... يقول يا قلبُ لا تغفلْ ولا تنَم
يا قلبُ ردِّدْ بملء الروح تلبيةً ... فقد دعوتَ مجيباً بالغَ الكرَم

* * *